إثـارة الشجون
في
عنـابر السجون

إعــداد
أبو خلاد ناصر بن سعيد بن سيف السيف
غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

مُقَدِّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين أما بعد

فإن من أعظم الوسائل التي ترقق القلوب هي ما كان على المنهج الرباني والنبوي الذي ما بين الترغيب والترهيب ليعيش المؤمن بين الخوف والرجاء ويكون كجناحي طائر يطير بهما قلب المؤمن ويحركانه إلى مولاه تبارك وتعالى ويتقدمهما الركن العظيم وهو المحبة.

فالخوف ينتهي بانتهاء المخوف وهي النار والرجاء ينتهي بالحصول على المرجو وهو الجنة والمحبة باقية للمؤمن حتى وهو في الجنة.

ومن هذا المنطلق كتبت بعض المواعظ على هذا المنهج وألقيتها في السجن العام بمحافظة الخرج وسميتها مجتهداً «**إثارة الشجون في عنابر السجون**» [1] والشكر موصول إلى المكتب التعاوني للدعوة

(١) سميت هذه المواعظ بهذا الاسم بسبب ما وجدته أثناء إلقائي في عنابر السجن من تأثير ونفع والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

والإرشاد وتوعية الجاليات بمحافظة الخرج وكذلك الشكر موصول إلى الإدارة العامة في السجن العام بمحافظة الخرج[1] لإتاحة الفرصة لي ولأخواني من الدعاة والمشايخ في الدعوة إلى الله عز وجل على منهج السلف الصالح بالحكمة والموعظة الحسنة.

نسأل الله العلي القدير أن يخلص نياتنا ويصلح علانيتنا وأن يجعلنا مباركين أينما كنَّا وأن يجعل ما نقدمه حُجَّة لنا لا علينا وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

أبو خلاد ناصر بن سعيد بن سيف السيف

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

(١) أخص بالشكر والتقدير الداعية عبدالله بن ناصر بن جميع حفظه الله تعالى، المرشد الديني المتعاون في السجن العام بمحافظة الخرج على جهوده المباركة في الدعوة إلى الله عز وجل والإصلاح والتوعية في عنابر السجن، نسأل الله العلي القدير أن يسدده ويوفقه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الموعظة الأولى

التـــاج المفقـــود

الحمد لله الرحيم الرحمن، اللطيف بعباده حين تصيبهم الهموم والأحزان، وعد الصابرين أجرهم بغير عدٍّ ولا حُسبان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الديَّان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث للإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أما بعد

فإنه مقام الأنبياء وحِلية الأولياء... من أخذ به أخذ بحظٍ وافر... السعيد منّا من جعله تاجاً عليه ونبراساً يُعرف به فهنيئاً له... أتعرف ما هذا الفضل العظيم ... إنه الصبر والصبر ضياء.

فكونوا يا عباد الله من الصابرين فيعطيكم ربكم الأجر العظيم.

قال الله جلَّ في علاه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وقال سبحانه وتعالى في أهل الجنة : ﴿ **أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا** ﴾ [الفرقان:٧٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ **وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

فالصبر في الدين بمكان الرأس من البدن فلا إيمان لمن لا صبر له ومن يتصبَّر يُصبِّره الله وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا جمع اللهُ الخلائق نادى منادٍ: أين أهل الصبر؟ قال: فيقوم ناسٌ وهم يسير فينطلقون سِراعاً إلى الجنة فيلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سِراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر فيقولون: وما كان صبركم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله وكنا نصبر عن معاصي الله فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجرُ العاملين)**[1].

قال عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: (الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر).

---

(١) عزاه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية لأبي يعلى.

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى : (يحتاج المؤمن إلى الصبر كما يحتاج إلى الطعام والشراب).

وقال سليمان بن القاسم رحمه الله تعالى : (كلُّ عمل يُعرف ثوابه إلا الصبر قال تعالى ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزُّمر:١٠]. فقال: كالماء المنهمر).

وكان صالح المرِّي رحمه الله تعالى يقول: (اللهم ارزقنا صبراً على طاعتك وارزقنا صبراً عن معصيتك وارزقنا صبراً على ما نكره وارزقنا صبراً عند عزائم الأمور).

دع المقاديرَ تجري في أعنّتها ولا تبيتنَّ إلا خالي البالِ
ما بين غمضةِ عين وانتباهتها يغير الله من حالٍ إلى حالِ

جاء في الخبر كما صح عن سيِّد البشر ﷺ بقوله: (**الصبر ضياء**)[1].

فالصبر كالسِّراج يحترق من داخله ومن خارجه يضيء والصبر دواء لكل داء والعلاج طعمهُ لا يُقبل ولكن نهايته شفاء بإذن الله تعالى.

(١) رواه مسلم من رواية أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه.

الصبر مثل اسـمه مُـر مذاقتـه لكن عواقبه أحلى من العـسلِ

ذُكر الصبر في القرآن الكريم في تسعين موضعاً وذُكر في السُّنة النبوية في مواضع كثيرة لا يعلمها إلا من يعلم السِّر وأخفى وذلك لشرف مكانه ولأهميته وحاجة الناس إليه.

فيا رعاك الله وجعل ربي الجنة مثواي ومثواك نسير نحن وإياك في رياض الجنة لنعيش ونقطف أحلى الثمر في وقفات إيمانية.

* **الوقفة الإيمانية الأولى** :الصلاة ولا خير فيمن تركها فهي عمود الإسلام فرضها الرحيم الرحمن على رسولنا خير الأنام ﷺ في السماء السابعة لشرفها وعظمها فهي خمس صلوات في اليوم والليلة وخمسون صلاة في الأجر.

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَثَلُ الصلواتِ الخمس كمثل نهر جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟** قالوا: (لا يبقى من درنه شيء) **قال: فذلك مثل الصلوات الخمس**

يمحو الله بهن الخطايا)[١].

وجاء الفضل العظيم فيمن مشى إلى المساجد: فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: **(من غدا إلى المسجد أو راح أعدَّ الله له في الجنة نُزُلاً كلما غدا أو راح)**[٢].

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(بشِّروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)**[٣].

وجاء الفضل العظيم فيمن انتظر الصلاة: فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(الملائكة تُصلي على أحدكم ما دام في مُصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه)**[٤].

وجاء الفضل العظيم فيمن صلى في جماعة المسلمين: فعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري.

(صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)[١].

وجاء الفضل العظيم فيمن حافظ على صلاة الفجر والعصر: فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من صلى البردين دخل الجنة)**[٢].

وجاء الفضل العظيم فيمن حافظ على صلاة الفجر والعشاء: فعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله)**[٣].

وجاء الفضل العظيم والأجر الجزيل ويعظم الثواب بعظم النية في المحافظة على الصلوات الخمس في اليوم والليلة وأن يؤديها في جماعة المسلمين ويزيد على الفرائض بسنن الرواتب. فعن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما من عبد مسلم**

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

يصلِّي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بُني له بيت في الجنة)[1].

ومن أعظم النوافل بعد الفرائض وسنن الرواتب قيام الليل وخاصة الوتر: فعن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً)**[2].

إذاً فالصلاة عظيمة بالفرائض وسنن الرواتب وقيام الليل وبخاصة الوتر ولذا فإن الله سبحانه وتعالى جعل أمراً مهماً عند أداء هذه الصلوات بأن نتمسك بالصبر في أدائها فقد قال الله جل في علاه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة:١٥٣]، وقال سبحانه تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الخَاشِعِينَ * ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة:٤٥-٤٦].

* **الوقفة الإيمانية الثانية**: الإنسان في هذه الدنيا يدخل في معارك عظيمة مستمرة إلى نهايتها بموته وهذه المعارك مع أعدائه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

الأربعة: (الدنيا والنفس والشيطان والهوى) فتكون الغلبة دائماً للإنسان إذا امتلأ قلبه بالإيمان وابتعد عن دواعي المنكرات والعصيان ونما وزكى بنفسه في فعل الخيرات وروّض نفسه وبدنه في التقـرب والعبادات وتأمل هذا الحديث العظيم فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ عندما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: (**فإن من ورائكم أيام الصبر فيه مثل القبض على الجمر للعامل فيهم أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**) قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم قال: (**أجر خمسين منكم**)[1].

فهنيئاً لمن اجتهد في الطاعات وابتعد عن المعاصي والمنكرات واستعان بالله عز وجل على ذلك وسأله الصبر والثبات وألبسه التواضع ورزقه الخشية والخضوع والخشوع والموفّق من عرف حقيقة أعدائه الأربعة فكلما أكثر العبد من الشهوات كلما أخلد إلى الأرض وضاق صدره وكلما قلل من الشهوات وأكثر من الطاعات كلما حلَّق في السماء واتسع قلبه،قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ**

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

﴿آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

وإذا قصَّر العبد في العمل ابتلاه الله تعالى بالهموم ومن أطال الأمل أساء العمل ومن قصَّر الأمل أحسن العمل وكن يا عبد الله في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى :

غداً توفَّى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

* **الوقفة الإيمانية الثالثة:** هي مقدَّرة من لدن عليم حكيم سبحانه وتعالى ومن عرف ذلك دخل في قلبه الأمن والإيمان والراحة والاطمئنان.

قال الله جل في علاه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

تقاس قوة الإيمان عند حلول المصيبة وفي وقت يجهله كثير من الناس. فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها: (**اتقي الله واصبري**) قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت إليه فقالت: لم أعرفك فقال: (**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**)[1].

وكل مهموم ومغموم ومُبتلى في دينه ودنياه فليذكر هذا الحديث العظيم الذي هو في الحقيقة عزاء لأهل البلاء.فعن عبدالله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: (**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها من أعظم المصائب**)[2].

والمصائب والبلايا تحل على الناس وبخاصة الأنبياء والرسل

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الدارمي والحديث حسن بشواهده.

عليهم الصلاة والسلام ليمحص الله إيمانهم. فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: **(الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل الرجلُ على حسب دينه فإن كان في دينه صُلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)**[1].

إذاً البلايا على مقادير الرجال ومن تأمل أحوال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وشدة ما مرَّ بهم من بلاء ازداد يقيناً وإيماناً .

فهذا نوح عليه السلام ابتلي بابن كافر وزوجة كافرة وابتلي بقوم في غاية الكفر معاندين ومستهزئين وساخرين يدعوهم نوح عليه السلام ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وما آمن معه إلا قليل في دعوة بلغت ألف سنة إلا خمسين عاماً.

وهذا إبراهيم عليه السلام أُمر بذبح ولده وفلذة كبده بعدما كبُر سنه وشاب شعر رأسه ودق ظهره فأجاب أمر خالقه ففداه ربه بذبح عظيم.

---

(١) رواه الترمذي وقال الألباني: حديث حسن صحيح.

وهذا يعقوب عليه السلام ابتلي بفقد ابنه يوسف الذي امتلأ قلبه حباً له فعندما طال الفراق بينهما قال يعقوب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨].

وهذا يوسف عليه السلام أُلقي في الجب وهو صغير وبيع كبيع الرقيق بثمن بخس بدراهم معدودة وابتلي بامرأة العزيز وسُجن فلبث في السجن بضع سنين وخرج وكان أميناً على خزائن الأرض وجاءه أهله من فلسطين.

وهذا أيوب عليه السلام ابتلي بفقد ماله وأولاده وأصحابه ثم ابتلي بفقد العافية في بدنه حتى تضرع إلى ربه فأجاب دعاءه فقال﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣].

وهذا يونس عليه السلام دعا قومه وخالفوه وعاندوه فركب البحر غضبان فمضى قدر الله فوقعت القرعة عليه ورمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت فأصبح في ثلاث ظلمات فنادى رب الأرض والسموات فنجّاه ونبذه على شاطىء البحر عندما قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧].

وهذا خير الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ﷺ إمام المتقين والصابرين نُشهد الله أنه بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة

وجاهد في سبيله حق جهاده وتركنا على محجَّة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها والله إلا هالك.

صلى عليك اللهُ ما صحب الدُّجى حادٍ وحنَّـت بـالفلا وجنـاء

كم لقي من الأذى وكم لقي من الاستهزاء وكم لقي من السخرية وكم لقي من الإهانة وكم لقي من شتى صنوف الأذية فصبر فكان إمام الصابرين ولنا فيه قدوة حسنة.

فأعطاه ربه سبحانه وتعالى على جهده وجهاده ودعوته وطاعته فقرَّبه منه وأعطاه الحوض والمقام المحمود والشفاعة ورفع ذكره وشرح صدره ووضع عنه وزره وقطع شأن من نال منه في حياته وبعد مماته.

فتأمل يا رعاك الله هذا خطاب من الله لكل مبتلى : ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف:٣٥].

فاللهم اجعلنا من الصابرين ومن الشاكرين ومن أصحاب جنتك جنة النعيم يا رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الثانية

المقـــام الرفيـــع

الحمد لله السميع البصير يعلم السرَّ وأخفى، ويعلم الجهر والنجوى، يرى مكاننا ويسمع كلامنا، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا، والصلاة والسلام على هادي البشرية، وخير البرية، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد

فمن تفكَّر في العواقب أخذ الحذر ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر ومن قصَّر الأمل أحسن العمل ومن أطال الأمل أساء العمل.

تأمل هذه الآيات العظيمة، قال تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى : (أعظم مساعد للعبد على القيام بما أُمر به الاعتماد على ربه والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور فذلك أمر الله بالتوكل عليه).

ومن أسباب فعل الأوامر وترك النواهي لا يأتي إلا باستحضار قرب الرب سبحانه وتعالى من العبد ونزوله في منزلة الإحسان فهو: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠] أي أنه يراك في جميع الطاعات والقربات وأعظمها الصلاة وذُكر في الآية أعظم ما فيها من الأركان لقرب العبد منه وهو السجود.

فإن الله سبحانه وتعالى يراك وقت القيام ووقت الركوع ووقت السجود وفي كل وقت يجب أن تستحضر قرب الرب تبارك وتعالى منك ولتعلم بأنه ﴿**هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ [المائدة:٧٦] وعندما يعلم العبد أن الله تعالى سميع وعليم يبلغ منزلة الإحسان تلك المنزلة العظيمة وهي أن: **(تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**.

نعم الله يراك... في سرك ونجواك... في الأرض وفي السماء... فإنه الله يراك...

ألم تعلم بقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [الحديد:٤].

فمن أعظم العبادات إعمار القلب بالمراقبة فكلما ازداد العبد تعظيماً لله عز وجل في قلبه ازداد إحساناً ومراقبةً في أعماله وأقواله ومن حصل عليها وصل إلى مرتبة الإحسان .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : (المراقبة هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه).

وقال بعض السلف : (والله إني لأستحي أن ينظر الله في قلبي وفيه أحد سواه).

وقال ذو النون رحمه الله تعالى: (علامة المراقبة: إيثار ما أنزل الله وتعظيم ما عظَّم الله وتصغير ما صغَّر الله).

وقال إبراهيم الخوَّاص رحمه الله تعالى : (المراقبة: خلوص السِّر والعلن لله جل وعلا).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (أعز الأشياء ثلاثة: الجود من قلة والورع في خلوه وكلمة الحق عند من يُرجى أو يُخاف).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (المراقبة هي التعبد بأسمائه سبحانه وتعالى فهو الرقيب والحفيظ والعليم والسميع والبصير).

ومن أسماء الله العظيمة (الرقيب):

فإن الله رقيب لا يغفل عمّا خلق...

مطّلع على ما تخفيه الصدور...

القائم على كل نفس بما كسبت...

فإن الله رقيب على الأشياء بعلمه...

رقيب ببصره...

رقيب بسمعه...

ألم تعلم أن الله ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر:١٩].

إذا ما خلوتُ الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليَّ رقيبُ

ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعةً ... ولا أن ما نخفيه عنه يغيبُ

ألم ترَ أنَّ اليوم أسرع ذاهبٍ ... وأنَّ غداً للناظرين قريبُ

ومن أسماء الله العظيمة (الحفيظ):

فهو الذي حفظ خلقه...

وأحاط علمه بما أوجده...

وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب...

ومن أعظم ما أمر الله بحفظه الصلاة !!!

قال تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لله قَانِتِينَ**﴾ [البقرة:٢٣٨].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:٩].

فمن حافظ عليها يحفظه ربي من العذاب في الآخرة ويرزقه السعادة في الدارين وعلى قدر صلة العبد بربه عز وجل تفتح له أبواب الخير وتقطَّع عنه أسباب الشر.

فقد توعد الله سبحانه وتعالى بالهلاك والعذاب العظيم لمن ضيَّع الصلوات، فقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

ومن أسماء الله العظيمة (العليم):

الذي يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن لو كان كيف يكون...

يعلم السرائر والخفايا وما في الضمائر...

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى : (وهو الذي أحاط علمه الظواهر والبواطن والإسرار والإعلان وبالواجبات والمستحيلات والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي وبالماضي والحاضر والمستقبل فلا يخفى عليه شيء من الأشياء).

تأمل في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا

﴿هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧].

ومن أسماء الله العظيمة: (السميع):

فهو سميع لأقوال عباده...

سميع النجوى...

سميع النداء...

سميع الألفاظ....

سميع ما يوسوس في الصدور...

سميع السِّر وأخفى...

يسمع الأصوات ولا تختلف عليه اللغات واللهجات...

قال سبحانه وتعالى عن نفسه: ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١].

ومن أسماء الله العظيمة (البصير):

أي له بصر يرى به سبحانه وتعالى...

يُبصر كل شيء صغر أو كبُر ...

يُبصر ما تحت الأرض وما فوق السماء وما في أعماق البحار...

لا تراه في الدنيا العيون...

ولا تخالطه الظنون...

ولا تغيره الحوادث والسنون...

لا تواري عنه سماءٌ سماءً...

ولا أرضٌ أرضا...

ولا جبل ما في وعره...

ولا بحر ما في قعره...

يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور...

سمع الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ليلة عجوزاً ...

تقول لبُنيتها: امزجي اللبن بالماء.

فقالت البُنية : أما علمت أن أمير المؤمنين نهى عن مزج اللبن بالماء.

فقالت العجوز في وقت غفلة : أين عمر حتى يرانا.

فقالت البُنَيَّة المؤمنة الموقنة بنظر الله: إن كان عمر لا يرانا فربُّ عمر يرانا.

ومر عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما على راعي غنم في

الصحراء...

فقال له: بعنا من هذه الشياه.

فقال الراعي: أنا مملوك ومؤتمن.

فقال له ابن عمر: قل للمالك أكلها الذئب.

فقال الراعي: وماذا أقول لله؟!!

فقال نافع مولى ابن عمر: رأيت ابن عمر يردد ويقول وهو يبكي ماذا أقول لله؟!!

فاشترى ابن عمر الراعي المملوك واعتقه وأعطاه غنماً يملكها.

قال تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:١١٩].

هذه بعض أسماء الله وصفاته جل في علاه...

فأين أثرها في حياتنا...!!

فإذا أردت أن تعرف قوة إيمانك...

فراقب خلواتك...

فمراقبة الله تعالى مقام كريم ومقام رفيع لمن أراد السعادة في الدنيا والآخرة، فقد قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى**﴾ [النَّازعات:٤٠-٤١].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمن:٤٦]. وقال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٣-٣٥].

إذا همّت النفس بالمعصية فذكرها بنظر الله إليها...

إذا خلـــوت يومـــاً بريبـــةٍ والـنفس داعيـة إلى العـصيان
فاستحِ من نظرِ الإلهِ وقـلْ لهـا إن الذي خلـق الظـلام يـراني

لا يكن الله أهون الناظرين إليك...

فإن عليكم من الله عيناً ناظرة...

والملائكة عليكم كاتبة...

والكتب يوم القيامة ناشرة...

فأين لذة المعصية ؟!!

أين تعب الطاعة ؟!!

رحل كلٌ بما فيه...

فبأي بدن يا عبدالله ستقف أمام الله جل وعلا...

بأي لسان ستجيب الله عز وجل...

أعدّ للسؤال جواباً ...

وللجواب صواباً...

فالبدار البدار إلى العزيز الغفّار...

فأبواب التوبة مفتوحة...

وربٌ غفور رحيم يقبلها...

ويبدِّل السيئات إلى الحسنات...

فالهروب الهروب من الله إليه...

وعظِّم الرب تبارك وتعالى في قلبك...

وامتثل أوامره...

واجتنب نواهيه...

تَفزْ بجنة عرضها كعرض السماوات والأرض أُعدت للمتقين.

فاللهم اجعلنا ممن يعظمك كأنه يراك وارزقنا خشيتك وتقواك ووفقنا للخير فلا موفق سواك وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الثالثة

الغاية العظيمة

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خِلفةً لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنيراً، بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله حق جهاده، وتركنا على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها والله إلا هالك، فاللهم صلي على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد

تباركت يا من أنزل الغيثَ والهُدى فذكرُك للأرواح أحلى وأطيبُ
فأنتَ الذي في الغارِ أمَّنتَ أحمدَ وخيّبتَ أهلَ الشِّرك حين تحزَّبوا
وسلَّمتَ إبراهيمَ والنارُ أُوقدت فصار سلاماً حرُّها الملتهبُ
وأيَّدتَ موسى إذ قصمتَ عدوّهُ وقد كان في دنياهُ يلهو ويلعبُ
وأنت الذي آوى ابن مريم سالماً وكلُّ عداه مبغِضٌ ومؤلِّبُ
وأنتَ الذي أنجيتَ في الحوتِ يُونسَ وقد فرَّ من أوطانهِ وهو مُغضَبُ

صفات المدح في الكاملين ذرة في كمال رب العالمين...
نعوت الفضل في الأبرار نفحةٌ من أفضاله...
ألسنة المادحين وأقلام الواصفين حائرة في جلاله...
من أنا حتى أمدحه...
من أنا حتى أمجّده ...
من أنا حتى أثني عليه...
أنا الذي خُلق من تراب أصف الملك الوهّاب...
أنا الذي صوّر من طين أذكر جلال رب العالمين...
إنّ الخجل يملأ فؤاد من خُلق من ماءٍ مهين...
فاللهم ارزقنا تعظيمك في السرِّ والعلن...
يا الله سبحانك ما أعظمك ...
سبحان من أجرى الماء وسيّر الهواء وبث الضياء وأقام الظلماء...
سبحان من على العرش استوى ومن يسمع ويرى والذي خلق فسوّى ...
سبحان من لا يموت وتكفّل بالقوت...
سبحان من وهب النور في الأبصار وسكب الضياء في النهار ...
لا إله إلا الله كلما برق الصباح وهبّت الرياح وتعاقبت الأفراح.

لا إله إلا الله يفعل ما يريد يبدؤ ويعيد ذو العرش المجيد...

لا إله إلا الله حافظ الأولياء وناصر الأنبياء وكابت الأعداء يفعل ما يشاء...

لا إله إلا الله مكرم الأبرار ومهين الفجّار عالم الجهر والإسرار...

الله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله الرحيم الرحمن...

الله المستعان على تعاقب الزمان وتفرق الأهل والإخوان...

الله المستعان على فقد الأحباب وموت الأصحاب وتغير الأسباب...

الله المستعان إذا ظهرت العيوب وكثرت الذنوب وقست القلوب...

الله أكبر إله الأولين والآخرين...

الله أكبر حقاً حقاً ومحبةً وصدقاً وعبودية ورقاً ...

الله أكبر تُكسِّر بها آمال الأكاسرة وتقصّر بها أعمار القياصرة وترغم بها أُنوف الجبابرة...

الله أكبر له الكبرياء والثناء وإليه الرجاء ومنه النعماء...

الحمد لله على جزيل العطاء ومسدي النعماء وكاشف الضراء ومعطي السرّاء...

الحمد لله دائم الإحسان وجزيل الخير والامتنان وحكيم الخلق والإتقان...

الحمد لله على نعمة الإسلام وتواتر الإنعام...

الحمد لله أبداً سرمداً ولا أُشرك معه أحداً تبارك فرداً صمداً لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولا شريكاً ولا عضداً ...

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباري

تأمل في خلق الإنسان: خلق الله عز وجل آدم عليه السلام من تراب ثم من طين لازب ثم من صلصال كالفخار ثم نفخ فيه الروح وأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة للسجود لآدم فأبى إبليس ثم خلق الله عز وجل زوجته حواء من ضلعه وكانت هذه الأحداث في الجنة فأمرهم الله عز وجل ألاَّ يأكلوا من الشجرة ووسوس لهما الشيطان فأكلا منها وتابا وتاب الله عليهما وأخرجهما من الجنة بعدما كانا فيها يتمتعان ثم أُهبطَا إلى الأرض فبدأ صراع الحق والباطل وتكاثرت ذرية إبليس وذرية آدم وحواء

عليهما السلام من ماء الرجل والمرأة.

قال الله جل في علاه : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطَّارق: ٥-٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٨-٦١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان:١-٢].

يخرج الماء المهين من الرجل من مخرج البول في شهوة إلى فرج المرأة فتكون نطفة أربعين يوماً كقطرة الماء ثم يكون علقة أربعين يوماً وهي معلقة في رحم المرأة ثم تكون مضغة مخلقة أو غير مخلقة أربعين يوماً والمضغة مثل لقمة الطعام في الفم فإن كانت مخلقة بقت وإن كانت غير مخلقة سقطت بإذن الله عز وجل فيبقى

الجنين تسعة أشهر تزيد أو تنقص فيخرج الجنين بأمر الله عز وجل وهداه طريق الخروج وهداه معرفة ثدي أمه فيخرج الجنين إلى الدنيا ثم يكون طفلاً إلى أن يكبر فمن الذي رعاه في بطن أمه وعلى الأرض...

إنه الله جل جلاله...

أعطاه وأنعم عليه وأحسن إليه ويأمره بالأوامر وهي طريق الجنة وينهاه عن النواهي وهي طريق النار وهنيئاً لمن امتثل الأوامر واجتنب النواهي قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [الانفطار:٦-٨].

وقال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا**﴾ [الانشقاق: ٦-١٥].

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباري

تأمل في خلق النبات: نجم وباسق، حلو وحامض، صنوان وغير صنوان، أحمر وأخضر، أبيض وأسود، لين وقاسي، أجرد وشائك، طويل وقصير، مثمر وغير مثمر، حار وبارد.

قال الله تعالى عن نفسه: ﴿**هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الذِّينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [لقمان:١١].

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباري

تأمل في خلق الحيوان: منهم يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، ومنهم الطائر، ومنهم الزاحف، ومنهم الأليف، ومنهم المتوحش، ومنهم المسالم، ومنهم المحارب، ومنهم البحري، ومنهم البري، ومنهم من يُكسى بالريش، ومنهم من يُكسى بالشعر والوبر والصوف، قال الله تعالى عن نفسه: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ [السجدة: ٧].

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباري.

نقل أهل السِّير أن حيّة عمياء كانت في رأس نخلة فكان يأتيها عصفور برزقها فإذا اقترب من فمها فتحت الحية فمها ووضع فيه رزقها فسبحان من قال: ﴿**الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ [طه:٥٠].

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباري.

وفي كل شيء له آية... تدل على أنه الواحد

إن البعرة تدل على البعير وإن الأثر يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحر ذو أمواج ونور يلمع وشمس تسطع وماء دافق ونجوم تلوح وشذى يفوح ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير.

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباري

حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبدالعزيز رحمهما الله تعالى نزل المطر وزاد صوت الرعد واشتد ضوء البرق وخاف سليمان بن عبد الملك، فقال له عمر بن عبد العزيز: (سبحان الله هذه آثار رحمته فكيف بآثار عذابه ونقمته).

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباري

ذكر الأصمعي: أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ : ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**﴾ [الذاريات:٢٣] فقال الأعرابي: (سبحان الله من هذا الذي أحوج الجليل حتى يقسم) ومعنى هذا: أن الأمر ظاهر لا يحتاج إلى قسم ولكن يعض النفوس تكابر وتعاند والعقول المتحجّرة تحتاج لهذا: ﴿**قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾ [عبس:١٧].

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباري

ومن بديع خلق الذباب أن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء ولذا يُغمس في الإناء إذا سقط فيه ويخرج كما جاء في ذلك الحديث الصحيح.

ومن بديع خلق الذباب أنه إذا وقع على بياض سوّده وإذا وقع على سواد بيضّه وإذا وقع على جرح جدّده وإذا وقع على لحم مكشوف أنّتنه وإذا وقع على اللبن أفسده ومع هذا تحدى الله عز وجل البشرية بالذباب وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ**

دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج:٧٣].

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباريء

فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم بعد أن أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً **﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [النحل:٧٨].

من علَّم النملة أن تشيّد جُحراً في التُراب
من علّم النحلة أن تُنسج بيتاً من لُعاب
من علَّم العصفور أن يُنظم عُشباً في الهِضاب
ذاك هو الله الذي أبدع في الخلق العُجاب

فإن تعظيم الباري عز وجل والخوف من مقامه ومعرفة قدره وقهره وتعظيم القرآن من عظمة مُنزِّله جل وعلا فهذه هي الغاية العظيمة فتأمل في وصف كلام الباري تبارك وتعالى: **﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأمثال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [الحشر:٢١].

واعلم رحمك الله أن من عظمة الله عز وجل أنه لا حول لأحد ولا قوة له إلا بالله ولذا كانت من أعظم الكلمات قول رسول الله ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: **(عليك بلا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة)**[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (إن الله أمر الملائكة بحمل العرش فلم تستطع فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله فقالوها فحملوا العرش بإذن الله فلا حول ولا قوة إلا بالله يُنال بها أشرف الأحوال وتهون بها الأهوال وتُحمل بها الأثقال ويصلح بها البال وهي أحسن الأقوال).

إذاً يا رعاك الله إن الله جل جلاله التواب الرحيم ذو الفضل العظيم الواسع العليم العزيز الحكيم ينادي عباده بألطف الأسماء للتوبة والرجوع إليه لمن عصاه ليلاً أو نهاراً سراً أو جهاراً ويحب التوابين ويقبل التائبين ويبدّل سيئاتهم إلى حسنات، قال الرحيم الرحمن لعباده: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا**

(١) رواه البخاري ومسلم.

الأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التَّحريم:٨].

والله تعالى ذكر كبائر الذنوب من الإشراك بالله وقتل النفس والزنا وتوعد من فعل هذه الأفعال بالنار يوم القيامة ويضاعف له العذاب ثم قال بعدها: **﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** [الفرقان:٧٠].

الله أكبر.. هنيئاً لمن تاب وسار مع قوافل التائبين العابدين...

الله أكبر.. هنيئاً لمن عزم على التوبة من هذه الوهلة قبل زمن النُقْلة...

فأنت يا عبدالله...

اليوم على الأرض وغداً تحت الأرض...

ثم الجزاء والحساب في يوم العرض...

فاليوم عمل بلا حساب...

وغداً حساب بلا عمل...

فاللهم اجعلنا من عبادك الصالحين المصلحين ومن أوليائك

الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

الموعظة الرابعة

جنـة الدنيـا

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على سيد رسله وأنبيائه، نبينا محمد وعلى صحبه وآله .

أما بعد

فإن من فقه العبد أن يعرف مواطن الإيمان فيزداد منها، ومن فقه العبد أن يعرف مواطن نقص الإيمان فيبتعد عنها، ومن فقه العبد أن يعرف مواطن نزغات الشيطان فيتعوذ بالله منها.

كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: (تعالوا نزداد إيماناً).

وكان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقول: (اجلسوا بنا نؤمن ساعة).

وكان عمير بن حبيب الخُطمي رضي الله تعالى عنه يقول: (الإيمان يزيد وينقص، يزيد إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبّحناه، وينقص إذا غفلنا وضيّعنا ونسينا).

يقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى : (العبد المؤمن الموفق

لا يزال يسعى في أمرين: الأول: تحقيق أصول الإيمان وفروعه والتحقق بها علماً وعملاً وحالاً، والثاني: دفع ما ينافيها وينقضها وينقصها من الفتن الظاهرة والباطنة).

وقد جعل الله سبحانه تعالى لكل مرغوب ومطلوب سبباً وطريقاً يوصل إليه وإن أهمَّ وأعظم المطالب وأعمها نفعاً هو الإيمان وقد جعل سبحانه وتعالى مواداً كثيرة تجلبه وتقويه وأسباباً عديدة تزيده وتنمّيه.

وهناك أسباب إذا فعلها العباد قوي يقينهم وزاد إيمانهم وقد بيَّنها سبحانه وتعالى في كتابه العظيم وبيَّنها رسوله ﷺ في سنته المطهرة.

ولعل من أعظم وأهم الأسباب في زيادة الإيمان:

الأول: تعلُم العلم النافع:

إن أهم وأنفع أسباب زيادة الإيمان تعلمُ العلم النافع علم الشريعة المستمد من الكتاب والسُّنة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم سلام.

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [المجادلة:١١].

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين)**[١].

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)**[٢].

فتعلم العلم الشرعي وسيلة لأعظم غاية وهي أن تعبد الله وحده لا شريك له والقيام بتوحيده على الوجه المطلوب، وليس العلم مقصوداً لذاته وإنما هو مقصود لغيره وهو العمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه فهذا المقام مقام العلماء الراسخين الربانيين.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أبي داود والترمذي وصححه الألباني.

الثاني: قراءة القرآن الكريم وتدبره:

هذا القرآن العظيم الذي أنزله رب العالمين على نبينا محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين في ثلاث وعشرين سنة يحمل هذا القرآن الإيمان والهداية والرحمة والضياء والنور والبشرى وذكرى للذاكرين والذي يقرأه ويتدبره ويتأمل ما فيه يقوي إيمانه ويزيد وينمو.

قال تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ [الأنعام:٩٢].

وقال تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل:٨٩].

وقال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ [ص:٢٩].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء:٩].

قال الآجري رحمه الله تعالى : (ومن تدبر كلامه عرف الرب عز وجل وعرف عظيم سلطانه وقدرته وعرف عظيم تفضله

على المؤمنين وعرف ما عليه من فرض عبادته فألزم نفسه الواجب محذّر مما حذّره مولاه الكريم).

الثالث: معرفة أسماء الله الحُسنى وصفاته العُلى :

فإن معرفة أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسُّنة التي تدل على كمال الله المطلق من كافة الوجوه لهي من أعظم الأسباب في تحصيل زيادة الإيمان، وكلما ازدادت معرفة العبد بربه زاد إيمانه، وكلما زاد إيمان العبد زادت أعماله الصالحة فإذا علم العبد أن الله سميع وبصير وعليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السِّر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فإن هذا يثمر له حفظ الجوارح عن كل ما لا يُرضي الله وأن يجعل عمل هذه الجوارح فيما يحبه الله ويرضاه.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة)** [1] وليس المراد بالإحصاء عدّها فقط وإنما المراد العمل بها بعد فهم معانيها واعتقادها .

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الرابع: التأمل في سيرة النبي ﷺ:

فإن من أسباب زيادة الإيمان النظر في سيرة النبي ﷺ وما فيها من الصفات الطيبة والخصال الكريمة والشمائل الحميدة فهو أمين الله تعالى على وحيه وخيرته من خلقه المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم أُرسل رحمةً للعالمين.

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : (وأصل الأصول العلم وأنفع العلوم النظر في سيرة الرسول وأصحابه).

ومن تأمل في سيرة خير البرية انتفع بها غاية الانتفاع قويت محبة النبي ﷺ في قلبه وازداد إيمانه ومتابعته وازداد عمله الصالح.

فرسول الله ﷺ داعي الإيمان الأول فقد ذكر سبحانه وتعالى عن أولي الألباب وهم خواص الخلق أنهم قالوا: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آَمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآَتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ**﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٤].

إذاً هذا هو المنادي الأول للإيمان محمد ﷺ، فمن استجاب لله

وامتثل أمره واجتنب نهيه كانت السعادة تملأ قلبه في الدنيا وكانت الفردوس الأعلى سكناه في الآخرة.

الخامس: التأمل في آيات الله الكونية:

فإن التأمل في آيات الله الكونية العُلوية مثل: السماء والشمس والقمر والنجوم والكواكب، والتأمل في آيات الله الكونية السُّفلية مثل: الأرض والجبال والأشجار والبحار والأنهار فهذه الآيات والتأمل فيها وفي المخلوقات العظيمة التي لا تُحصى لهي أعظم دواعي الإيمان وأهم أسباب زيادته وتقويته.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**﴾ [الفرقان:٦٢].

إذاً فجميع المخلوقات من الذرة إلى العرش هي طُرق متصلة

إلى معرفة الله سبحانه وتعالى فهي حجج بالغة وآيات ساطعة وبراهين دامغة على وحدانية رب العزة والجلال سبحانه وتعالى .

إذاً هذه من أعظم وأهم الأسباب في زيادة الإيمان ولكن في المقابل هناك من أعظم وأهم الأسباب في نقص الإيمان وهي:

الأول: الجهل وهو ضد العلم:

المتأمل في كتاب الله عز وجل يجد أن أعظم الأسباب في الوقوع في الذنوب والمعاصي هو الجهل بالله وبأسمائه وصفاته وبثوابه وعقابه.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [النساء:١٧] قال جماعة من السلف في تفسير هذه الأية : (اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عُصي الله به فهو جهالة).

وليس هناك داء إلا وله دواء فدواء الجهل هو العلم والعلم من أهم أسباب زيادة الإيمان ولا يدفع الشبهات إلا العلم ولا يدفع الشهوات إلا الإيمان فاللهم ارزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً واحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

الثاني: الغفلة والإعراض والنسيان:

فإن هذه الأمور الثلاثة سبب عظيم من أسباب نقص الإيمان فمن وقعت منه الغفلة وحصل منه إعراض واستولى على فكره النسيان نقص إيمانه بحسب توفر هذه الأسباب الثلاثة أو توفر بعضها فيموت القلب أو يمرض فلا يعود حتى يحيا هذا القلب أو يُشفى من مرضه ولا يكون هذا إلا بالطرق المستمدة من الكتاب العظيم والسُّنة المطهرة.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [يونس: ٧-٨].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه:١٢٤].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ**﴾ [الحشر:١٩] وأما إن كان النسيان ليس له أصل ولم يحدث فيه تفريط فمعذور. قال تعالى في ذكر حال هؤلاء: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ [البقرة:٢٨٦]. فقد قال سبحانه

وتعالى في الحديث القدسي: (**فعلت**)[1].

الثالث: مداخل الشيطان:

فإن الله سبحانه وتعالى حذرنا من الشيطان ومداخله وطرقه، قال سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ [النور:٢١].

وقال تبارك تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [يوسف:٥].

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (الواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم عليه السلام وقد بذل العدو عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم وقد أمر الله تعالى بالحذر منه).

إذاً عدو الإنسان الأول هو الشيطان وهمّه إفساد العقائد وتخريب الإيمان فمن لم يحصّن نفسه بذكر الله تعالى والاستعاذة به صار مرتعاً للشيطان يسوّل له فعل المعاصي ويرغبه في انتهاك المناهي والفواحش فنعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.

---

(١) رواه مسلم.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠].

الرابع: الانشغال بالدنيا:

إن من أسباب نقص الإيمان وضعفه الاشتغال بعرض الدنيا الزائل وشغل الأوقات فيها والانهماك في طلبها والجري خلفها وخلف ملذاتها وفتنتها ومغرياتها فمتى عظّم العبد الدنيا في قلبه قل الإيمان وقلَّت الأعمال الصالحة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة).

ودائماً ما يصوّر سبحانه وتعالى في كتابه العظيم هذه الدنيا الزائلة بصور وأمثال متعددة لبيان حقيقة فنائها ولا خير فيها إلا ما كان في ذكر الله عز وجل .

قال سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : (ما مضى من الدنيا أحلام وما بقي منها أماني والوقت ضائع بينهما).

الخامس: قرناء السوء:

قرين السوء هو السبب الرئيسي في ضعف إيمان العبد ونقصانه لقربه منه والتأثر به، قال رسول الله ﷺ : (**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**)[1].

قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (ليس شيء أبلغُ في فساد رجلٍ وصلاحه من صاحب).

ومن أعظم الأسباب في نقص الإيمان في هذا الزمان ما يصاحب القنوات الفضائية الخالعة والماجنة والشاشات الملوثة في الانترنت التي تسلخ من الإنسان دينه وحياءه وخُلقه.

إذاً فهذه الأسباب العشرة المهمة في زيادة الإيمان ونقصانه:

- **أسباب زيادة الإيمان:**

١- تعلم العلم النافع.

٢- قراءة القرآن الكريم وتدبره.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني.

٣- معرفة أسماء الله الحُسنى وصفاته العُلى.

٤- تأمل سيرة النبي ﷺ.

٥- التأمل في آيات الله الكونية.

- **أسباب نقص الإيمان:**

١- الجهل وهو ضد العلم.

٢- الغفلة والإعراض والنسيان.

٣- مداخل الشيطان.

٤- الانشغال بالدنيا.

٥- قرناء السوء.

فاللهم وفقنا لكل عمل فيه رضاك واختم لنا بالصالحات وارزقنا أعلى الجنات وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الخامسة

البراهين الأربعة

الحمد لله خالق الكون بما فيه، وجامع الناس ليوم لا ريبَ فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده تقدست عن الأشباه ذاته ودلت على وجوده آياته ومخلوقاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله آخر الأنبياء في الدنيا عصراً وأولهم وأرفعهم يوم القيامة شأناً وذكراً صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره واتبع نهجه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد

فإن من أعظم الطُرق المؤدية إلى محبة الله عز وجل في الدنيا والفوز بجنته في الآخرة التمسك بكتابه العظيم وبسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بهما على فهم سلف الأمة رحمهم الله تعالى، وقد أنزل سبحانه وتعالى كلامه العظيم بواسطة جبريل عليه السلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد جاء وصف ذلك في حديث النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا أراد الله أن يوحيَ بالأمر؛ تكلَّم بالوحي ؛ أخذت السماوات منه رجفةٌ أو رعدةٌ شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا**

سمع ذلك أهل السماوات؛ صَعِقُوا وخرُّوا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسهُ جبريلُ فيكلمهُ الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريلُ على الملائكة كلما مرَّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربُّنا يا جبريل؟ فيقول جبريلُ: قال الحقَّ وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريلُ فينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل)[1].

يا أهل القرآن : تدبروا كتاب الله عز وجل من سورة الفاتحة إلى سورة الناس تجدون القصص والتوحيد، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، وسُطّر فيه ما حدث في العصور الماضية للعبرة والاتعاظ ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ [ق:٤٥]، وتجدون فيه أربعة براهين لإثبات وتحقيق البعث والنشور ويأتي كل برهان بصور متعددة وأمثال مختلفة ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر:٢١] وهي :

- **البرهان الأول**: خلق السموات والأرض، لأن خلقهما من أَعظم البراهين على بعث الناس بعد الموت؛ لأن من خلق الأعظم الأكبر لاشك في قدرته على خلق الأضعف الأصغر والآيات

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه.

الدالة على هذا كثيرة ، كقوله تبارك وتعالى : ﴿ **لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [غافر:٥٧].

- **البرهان الثاني**: إحياء الأرض بعد موتها، لأن من أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم، كقوله تبارك وتعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [فصِّلت:٣٩].

- **البرهان الثالث**: خلق الإنسان من العدم، لأن من خلق الإنسان على غير مثال سابق قادر على إعادة خلقه مرة أخرى، كقوله تبارك وتعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩].

- **البرهان الرابع**: إحياء بعض الموتى في الدنيا، لأن من أحيا نفساً واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس، قال تبارك وتعالى: ﴿ **مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ [لقمان : ٢٨]،

وإحياء الموتى في الدنيا كما في قصة قتيل بني إسرائيل، قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣]، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قال تبارك وتعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩]، وقصة إبراهيم عليه السلام في إحياء الطيور، قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].

فاللهم فقهنا في الدين، وعلمنا الحكمة والتأويل، واجعلنا هداة مهتدين وصالحين مصلحين، وأحيينا على الإسلام والإيمان

والسنة، وأَمِتنا على الإسلام والإيمان والتوحيد، واجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري

وما أنت أعلم به مني

اللهم اغفر لي جدِّي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

اللهم انفعني بما علَّمتني وعلِّمني ما ينفعُني وارزقني علماً ينفعُني وزدني علماً والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار، سبحانك اللهم وبحمدك أشهدُ أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

أبو خلاد ناصر بن سعيد بن سيف السيف

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

abuklad@hotmail.com

٢٥/ ٤/ ١٤٣٠هـ